(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ..)

عندما تقرأ قول ربك تعالى (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).. فاعلم أن الأمر هو أمر الدين الشامل والمنهج الكامل لجميع مناحي الحياة، وهو أمر الشرائع السابقة، وهو أمر مختص بالله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) على هذا دارت أقوال المفسرين.

- من له حق التشريع هو الخالق الرزاق؛ فمن خلق ورزق هو الذي يأمر عبيده. وأما من لم يخلق ولم يرزق، وهو عبد كغيره من العبيد؛ فليس له حق التشريع بغير مستند من دين الله تعالى؛ فقد نصّب نفسه حينئذ في محل من يخلق ويرزق؛ ولهذا قال تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) فإنهم لمّا أعطوهم حق التشريع بغير قيد الرجوع الى الله تعالى، فقد أنزلوهم منزلة من يخلق ويرزق.

وهكذا في كل حال يعطي العباد حق لتشريع لغير الله تعالى فهم يعطونهم حق من يخلق ويرزق؛ وينزلونهم منزلة من يخلق ويرزق. وهو ظلم فادح (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

وأما تلقي التشريع والتقنين من الله، من خلال دينه الذي أنزله ورسالته التي أنزلها وشرائعه التي شرعها؛ فلا يخرج عنها المسلم، فردا ومجتمعا؛ فهذا إعطاء الحق لأهله.

* * *

ومن له حق التشريع لا بد أن يعلم غاية وجود الحياة، وغاية وجود الكون، ومكان كل جزئية فيه، ودور كل ذرة في الوجود، ودور المخلوق الإنساني، ودوره في العالم المنظور وما قبل وجوده وما بعد وجوده..

ولا بد أن يعلم التاريخ كله، وتطور المجتمعات كلها وتطور الحاجات البشرية..

ولا بد أن يعلم حقائق النفس البشرية ونوازعها واحتياجاتها، وضعفها وأشواقها، وما يُصلحها وما يفسدها، علما تاما كحقائق مكشوفة بلا أدنى غموض ولا تردد ولا احتياج لتجارِب..

ولا بد أن يعلم عالم الغيب، وما قبل وجود الإنسان، وما بعد موت الإنسان، وما يُصلحه في الدار التي تلي دار الدنيا..

ولا بد أن يعلم كيفية توصيل العدل لكل فرد، ولكل أسرة، ولكل مجتمع؛ بحيث لا تتضارب مصالح فرد مع أسرة ولا مجتمع، ولا مصالح أسرة مع مجتمع، ومصالح مجتمع مع فرد أو أسرة أو مجتمع آخر.. ولا تتضارب مصالح الأعراق والقوميات، ولا يفضل الناس بعرق أو قومية أو وطن أو لون..

ومن له حق التشريع لا بد أن يكون هو من يملك أقدار الناس وترتيب الجزاء العاجل والآجل لهم.. وترتيب القدَر اللائق بأعمالهم..

ومن له حق التشريع ينبغي أن يكون هو الخبير العليم بقصة البشرية كلها، وغاية وجودها، ومحل وجودها من الحياة..

ومن يملك حق التشريع هو من له العلم المطلق، والرحمة المطلقة، والعدل المطلق، والحكمة التامة، ولا ينتقض أمره، ولا يوجد خلل فيما يشرع..

ومن له حق التشريع هو من تبهرك روعة وإبداعه في خلقه، فكذلك روعة شرعه وروعة قدَره..

وهذه الأمور، وغيرها كثير، لا يملكها إنسان ولا حزب ولا مجتمع، ولا البشرية كلها منذ خُلقت الى يوم فنائها.. بل يملكها إله واحد هو الله رب العالمين.. ولهذا كان الحق كل الحق، والعدل والقسط هو رد الأمر لله وحده؛ إعلانا أنه (لا إله إلا الله).

اقرأ ورتل: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

* * *

قبول شريعة الله هو موقف عقدي، وعام؛ يقبل فيه الإنسان كل ما شرعه الله، وفي كل مجال، عام وخاص، فردي وجماعي، علِمَ تفاصيله أو لم يعلمه. بل هو يقبله كاملا ثم يسأل عن تفصيله ليقوم به.

وأما العمل فقد يطيع وقد يعصي في تنفيذ بعض الأمور.

فالقبول لا بد أن يكون "جملة" للدين كله فلا يرفض منه حكما، ولا يرد منه أمرا ولا يستحل منه محرَما. وأما الدخول في الأعمال وامتثالها تفصيلا فقد يتبعض (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآَخَرَ سَيِّئًا). بل وغالب المؤمنين معهم "أصل القبول" و"بعض الأعمال الواجبة ."

فالمسلم قد يتلبس ببعض المعاصي أو التفريط؛ لكنه يقبل جميع شرائع الله ويخضع لها ويرفض تبديلها ويرفض البديل عنها، ويرفض تنحية شريعة الله عن أي مجال من مجالات الحياة، وهو يثق فيها ويراها خير الشرائع (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهَّ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فيرى فيها الحُسن، وما تتضمنه من الرحمة والعلم والحكمة والعدل؛ لا يشك في أحكامها ولا عقوباتها، ولا فيما تضمنته من العلم والرحمة، أو الحكمة والعدل، ولا يشك في ملاءمتها لواقعه ولِما بعد واقعه، ولا يرى التطور الحضاري في العلوم التقنية يبرر أو يسوّغ تبديل الأحكام ولا استحلال الحرام ولا جواز تغييرها ولا عدم ملاءمتها.. فالحضارة التقنية، وثورة المعلومات والاتصالات،

والثورة الرقمية؛ لا تعني التمرد على العبودية لله، ولا استباحة نجاسة الزنا ولا قذارة الشذوذ ولا وحشية الربا ولا تعني استرجال المرأة ولا الاستهانة بعرضها ولا إسقاط قوامة الرجل ولا استقلال البشر بالتقنين ولا التشريع.. ولا تعني توكيل مراكز الموضة لتبديل القيم، ولا تعني إعطاء مخرجي الإعلانات ومنتجي الأفلام وكاتبي السيناريوهات حق نشر الإباحية في المجتمع؛ من النشء الى الأُسَر وقيمها..

الدين هو الدين، والله هو رب العالمين في كل وقت وزمان، فهو المألوه في السماوات والأرض (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ).. والله تعالى هو رب كل زمان، والمشرع لكل زمان، ويتلقى منه عبادُه، المسلمون المؤمنون الموحدون، شرائعَه كل حين.. حتى آخر لحظة للحياة على هذه الأرض..

***

"قبول شريعة الله وحده، ورفض ما سواها"؛ هي ركن من قولك (لا إله إلا الله) فالإله هو المألوه، والمألوه هو المعبود المطاع؛ فلا يطاع غير الله بتلقي الشرائع منه.

والطاعة نوعان: "طاعة في أصل الدين"، وهي قبول الشرائع. والمخالفة فيها شرك بالله تعالى وردة عن دينه؛ وهي المقصودة في قوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فالخطاب في الآية الى أهل الكتاب؛ بقبول الشريعة الناسخة. فإن لم يقبلوها فهم كفار وإن تمسكوا بالشرائع المنسوخة! وهم كاذبون في ادعائهم المحبة.

فإن كان التمسك بالدين المنسوخ ورد شريعة الله الناسخة كفرا؛ فمن باب أوْلى التمسك بشرائع مبدلة مخترَعة وردّ شريعة الله المُحْكَمة.

والنوع الثاني من الطاعة هي "الطاعة في فروع الأعمال". والمخالفة فيها المعصية بدرجاتها، من الصغائر الى الكبائر ولو جهر بها أو أصر عليها.

وقبولُ شريعة الله هو معنى الإسلام؛ فالإسلام هو الاستسلام لله وحده، وذلك لا يتحقق إلا بقبول الأحكام منه وحده.

وقبولُ شريعة الله هي من أصل الإيمان؛ فالإيمان هو تصديق الخبر وقبول الحكم.

والعبادة هي حب وطاعة وتعظيم. والشاهد هنا الطاعة.

فالأمر أمر عقيدة ودين، إسلام وإيمان.. أصل دين العبد وما لا يُقبل منه أعماله من الطاعات إلا بهذا الأصل العظيم.

اقرأ ورتل وكرر وأَعلِن للعالمين: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) صدق الله العظيم.

* * *

بديل شريعة الله هو الهوى.

والهوى هو أمزجة الناس الممزوجة بشهواتهم .

ومن خرج من شريعة الله وتجرأ على رفضها؛ تلقى من البشر زبالات نفوسهم وقاذورات عقولهم وسقْط تفكيرهم. ولهذا قال تعالى: (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). فهي العبودية لأهواء شتى تتنازعه.

ومن خرج عن شريعة الله فهو عرضة لأهواء تتقلب به؛ فيقول الأمر وعكسه، ويمجد الاشتراكية ثم يبرأ منها، ويمجد الرأسمالية ثم يبرأ منها، ويرفع شعار الليبرالية ثم ينقضها، فتراه راقصا بين المعسكرات، متقلبا بين الموائد، أو تابعا تافها يردد شعارات لا يفقهها، ولا يعلم ما وراءها، ويردد كذبات وعكسها كل حين؛ يخسر شخصيته وكرامته، ويمتهنه سقط البشر وأصحاب الشهوات.. وهكذا؛ بخلاف من أخلص لله، وتلقى منه وحده؛ فعبده وحده؛ فكان حرا عزيزا.. استقامت له الدنيا واستقامت له الآخرة: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

* * *

في التلقي عن الله تعالى وحده القانون والشريعة والأحكام والأخلاق والقيم وضوابط أنشطة الحياة ومنهج الحياة للفرد والأمة؛ في هذا توحيد ورفعة.. فالله هو الآمر الناهي المحلل المحرم، وكل العباد نسبتهم الى الله واحدة؛ وهي أنهم "عِباد".

وفي شريعة غيره، يخضع الناس لطائفة متسلطة، تحلل وتحرم حسب أهوائها، وهم بحسب تبعيتهم لمصلحة أو مال، ولمصلحة شخص أو طائفة، أو وكلاء لقوى وحضارات تخالف دينها.. فهم في النهاية في تبعية وهبوط وتخلٍ عن تكريم الله لهم (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فهذا خلقه.

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) فهذا لمعصيته وشركه وتمرده على أمر ربه ورفضه لشريعته.

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فحافَظوا على تكريم الله لهم، وحُسْن تقويمهم.. فالدين قيّم، وفطرتهم سوية، وخلقهم في أحسن تقويم؛ لن تجدهم أصحاب دعوات شذوذ، ولا إلحاد، ولا تجد نساءهم وبناتهم

عرايا، ولا خفاف العقول خلف الطغاة، ولا رقاصين، ولا طبالين، ولا منحطي الاهتمامات، ولا أصحاب دنيا تمزقهم؛ بل هم مطمئنون، في اتجاههم الى رب العالمين..

❋ ❋ ❋

في كل تبديل ورفْضٍ لشريعة الله، خداع كبير، وزخرف كاذب؛ يليه اكتشاف السقوط، والمرارة.

فالمرابي تنقلب عليه الأمور لو احتاج هو للقرض. والفاجر الزاني تنقلب عليه الأمور عندما يفجر أهله أو رحمه أو ذريته. والشاذ يرى جريمته في ذريته ومجتمعه وهو ينهار. والملحد يرى المأساة بعينه عندما تأتيه ضراء وينفض عنه أصدقاء السوء وعندما تضيق الحياة به ولا تجد روحه مجالا للانطلاق ولا أفقا للتحليق..

كل من عاند دين الله وشريعته أُسقط في يده ورأى الخسران بعينه، ورأى نفسه أسيرا لأراذل الخلق وسفلة المخلوقين.

عند اطراد وتعميم المعاصي والمظالم والفواحش، وتعميم الانسلاخ من أحكام الله وتقليص ظلها على الحياة، ونزع مكانتها من القلوب، ونزع فاعليتها من المجتمع؛ يظهر للجميع قيمة ما أنزل الله، ومعنى كون دين الله (دينا قِيَما)؛ وإنما الخاسر من خسره.

❋ ❋ ❋

هل تجد الخلق مبهرا..؟ هل تشعر بإبهار جماله، وإتقانه، وعلومه وأسراره، وقوانينه، واتزانه، وتناسقه..؟ هل ترى التدخل البشري فيه مفسدا..؟ هل تطير فرحا بمعرفة قانون بسيط من ملايين القوانين بني عليها؟

إذا كان الأمر كذلك؛ فاعلم أن الشرع كذلك، مبهر وجميل وعميق ومتناسق ومصلح للحياة..

إذا وجدت خلق الله مبهرا، ووجدت إعجازا وعلما، ورحمة وحكمة، ورعاية وجمالا، وتوازنا ودقة، وتسلسلا وترتيبا، وتنوعا وتاريخا..

فاعلم أن شرعه وأحكامه ومنهجه؛ مبهر ومُعجز كذلك؛ لكنك فقط لا ترى.. فلا سلطان ولا حجة لرد شريعة الله أو الانسلاخ منها.

واعلم أن قدَره كذلك؛ مبهر ومعجِز؛ بل فقط أنت لا تعلم.. فلا سلطان ولا حجة الى الإلحاد.

فكن على ثقة ويقين؛ إنهما يخرجان من مشكاة واحدة؛ الشريعة والخلق، هذا كلامه وهذا شرعه. لكنه تعالى فرض عليك أمرا ـ وهو خلقه وقدَره ـ وخيّرك في أمر آخر وهو شرعه تعالى؛ واختبرك فيه؛ فكُن فيما خيّرك فيه عبدا برا مطيعا، كما أنت فيما سواه عبد مقهور.

***

لا يتم قبول شريعة الله تعالى بأداء بعض التعبدات؛ فهنا تلبيس كبير وخداع للناس، وخداع للنفس؛ فالرافض لشريعة الله تعالى والقائل بفصل الدين عن الحياة، بل وبعض غلاة العلمانيين يخدعون أنفسهم، والناس، ويسترضونهم بـ "أداء" بعض العبادات الفردية، مع القول بـ "نظافة القلب"، والعلاقة الخاصة مع الله..! وعدم التدخل في "شؤون الغير!.."

ومقصودهم بـ "أداء التعبدات" صرف أنظار الناس عن جريمة تبديل أحكام الله ورد شريعته القانونية.

ومقصودهم بـ "نظافة القلوب" هو عدم الاستدلال برفضهم لشريعة الله على عدم إيمانهم، والنص على نفاقهم؛ كما نطق بذلك القرآن، حيث جعل هذه الأفعال دلالة ولازما على النفاق الأكبر وانتفاء الإيمان من القلوب، بدون حاجة الى معرفة الباطن. ومقصودهم بـ "عدم التدخل في شؤون الغير" هو الرضا باستحلال المحرمات وارتكاب المنكرات والكبائر والفواحش وانتشارها واستقرارها وتربية الأجيال عليها..! ومن فروع ذلك ترك "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."

قبول شريعة الله وتحقيق أصل الدين لا يتحقق بمسجد تتعبد فيه ومسبحة ومصلاة؛ بل يتحقق بأمر يجب أن يسبق أي عبادة؛ يتحقق ويبدأ بموقف مبدئي وعقدي يعلن المرء فيه عبوديته لله وحده، والخضوع لما يشرعه الله من أحكام وقيم ومنهج شامل، ورفضه الخضوع لغيرها. وأن ذلك جارٍ في الحياة بأسْرها وفي جميع المجالات. وأنه لا شريعة لقانون أو قيمة أو خلق؛ إلا ما كان مستنده هو "ما أنزل الله"، وسؤاله دائما (آلله أمرك بهذا).

فيدخل المسجد بمسبحته ومصلاه فيتعبد، وهو خارج المسجد وفي دروب الحياة تظلله شريعة الله ويرفض أن يخرج عن ظلها وسلطانها.. (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

***

لا يتحقق القبول لشريعة الله إلا أن تكون هي القانون العام، وليست علاقة فردية.

وإلا فمن جعل غيرها هي القانون العام فهو في رد حكم الله المقابل لها، وخرج عن عبوديته وسقط في عبودية من شرع له.

* * *

لا تكون شريعة الله هي الحاكمة في مجتمع أو أمة إلا أن تكون هي مصدر التشريع، دون غيرها، ولا يُسمح أن يكون معها مصادر أخرى؛ سواء كانت هي مصدرا رئيسيا أو أحد المصادر؛ فالإسلام هو ألا يكون الاستسلام لغير الله، وأن يكون الاستسلام لله وحده. ولا يتحقق "الاستسلام" إلا بقبول الأحكام.

فلا يكون هناك "شرعية" ولا "إلزام" لحكم أو قانون، إلا بما أنزل الله. ولا يكون حكم لوقائع جديدة إلا بالاجتهاد والاستنباط من شرعة الله وحده.

شريعة الله ليست موعظة فردية على وجه الإحسان، بل هي تشمل:

1) القانون واجب التنفيذ، وواجب القضاء به، والممنوع من مخالفته، والمعاقَب على مخالفته ..

2) كما تشمل موعظة القلوب وتهذيب النفوس والتربية على أخلاقه والتوجيه على قيمه. تلك شريعة الله.

فمن تصور صورة أخرى تُرضي أهواءه فهو واهِم.. (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

* * *

قبول شريعة الله لا يتحقق إلا بقبولها جملة وعلى الغيب، بمعنى ألا يردّ منها حكما. فمن ردَّ حكما واحدا كان كمن ردها كلها، ومن كذّب خبرا واحدا أخبر الله به كان كمن كذّب جميع ما أخبر الله به..

فكما لا يتحقق التصديق إلا بتصديق جميع ما أخبر الله به؛ فلا يتحقق القبول إلا بقبول جميع أحكام الله تعالى .

ولهذا وقف الصحابة ممن جحد وجوب الزكاة موقفا حاسما وأنهم مرتدون أسقطوا حكم الله وأبوا قبول فرائضه.

هذا شأن "القبول".. أما "الأعمال" فالمسلم قد يكون ظالما لنفسه بارتكاب المعاصي، ويكون معه بعض الطاعات وبعض المعاصي، لكنه يقبل جميع ما أنزل الله. فهناك فرق بين "القبول" وبين القيام بالطاعة أو المعصية.

* * *

لا تكون الشريعة حاكمة إلا إذا كانت مصدر الأحكام دون غيرها، وكان ما أوجب الله فيها واجبا كقانون عام كما هي واجبة في حق كل شخص؛ فتُحمل الأمة على أمر ربها، تعليما وتأديبا..

وتكون محرماتها حراما كقانون عام، يُحمى المجتمع ويُنهى عما حرم الله، كما يُنهى الشخص ويوعظ عن محارم الله..

ولا يُسمح بانتهاك فرائض الله ولا محرماته ولا حدوده..

وتكون عقوباتها هي العقوبات المقررة. وفي إطارها ومن مآخذها.

وكل ما يجد ويُستحدث من الأحداث والمعاملات يُنظر في شريعة الله والاجتهاد المنضبط وعلل الأحكام؛ فيُعرف حكم الله في المسألة الجديدة ـ النازلة ـ ويُكشف عن حكمه تعالى فيها..

ولا تكون الشريعة حاكمة إلا بتغيير وظائف المؤسسات القائمة في ظل العلمانية، وإنشاء أخرى..

فـ "البرلمانات" ليست للتشريع؛ بل هي للشورى الملزمة، لتمثيل الأمة وقضاياها ومطالبها للحكومات، وإلزام الحكومات بها. وللرقابة على الحاكم وحكومته والحسبة عليه؛ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتقرير رأي الأمة في السياسات العامة والقضايا المصيرية. ورفع احتياجات الأمة التشريعية القانونية والتي كذلك يمكن أن يقترحها الحاكم أو الحكومة.. لكن الوظيفة التشريعية لها مجلس آخر، وهو:

مجلس "الاجتهاد والنظر الشرعي"، وهو المختص بالتشريع، ولا بد فيه من مجتهدين شرعيين، وخبراء في شتى المجالات "كالمجالس القومية المتخصصة" أو له أن يستدعي في كل نازلة أهل الاختصاص فيها، ومعهم قانونيون للصياغة القانونية العامة.

كما لا بد من مجالس لأوقاف المسلمين ورعايتها وإصلاحها وتنميتها، وتشجيع الوقف لقوة المجتمع المدني وعدم تأثره بالتقلبات الاقتصادية العامة فيبقى التعليم وحفظ القرآن والمستشفيات يغلب عليها الوقف لخدمة المسلمين، وكذلك التوسع في الوقف على المرافق العامة للأمة..

وهكذا تنشأ للمسلمين مجالس ومنظمات بحسب احتياجهم للقيام بأوامر الله تعالى..

* * *

يتعجب كثير من "المسلمين!!" من فرض شريعة الله كقوانين حاكمة..! والعجب منهم هم!!..

– فشريعة الله لم تنزل للاختيار بل هي قانون نافذ وشريعة جادة، ومنهج متكامل.. لها تصورها وعقائدها وأصولها التصورية، ولها أصولها التشريعية وطرق الاستنباط، والقواعد العامة، والقوانين الجزئية التفصيلية،

وبها عقوباتها وإجراءاتها وتعازيرها، ولها القيم الربانية المرتبطة بها، والغايات الأخلاقية لها، وتصورها في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والفن، وكافة مناحي الحياة.

- فتصديقك أن الله حرم هذا أو فرض هذا؛ هذا تصديق، وهو خير لكن لا يكفي؛ فأين القبول والالتزام..؟

- فالقبول والالتزام هو العبادة، التي يجب إفراد الله بها.

- والقبول والالتزام لا يتحقق بالتزام التحريم أو الوجوب في نطاق فردي، بينما تقبل إباحة المحرم وإسقاط الفرائض في نطاق عام. بل يتحقق القبول بالتزام الأحكام في المجالين، العام والخاص، الجماعي والفردي.

- وإذا لم يُلزَم الناس بقوانين الله، أُلزموا بقوانين وزبالات البشر. وتلك فضيحة وظلم كبير.

- عدم القيام بشريعة الله نقض للعقيدة ولأصل الإيمان، لمن بدلها ولمن رضي بهذا التبديل.

- وجود غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية لا يمنع من علو شريعة الله وحاكميتها؛ فهذا هو أمر الله تعالى بأن تكون كلمة الله هي العليا. ومن لم يفهم هذا تخبلت عليه الأمور؛ كما هي مخبلة على كثير من الناس اليوم؛ حيث لا يفرقون بين فرض الله بـ "إعلاء كلمته وإقامة دينه"، وبين "حسن المعاملة والإنصاف" مع غير المسلمين. إن الحياة لم تُعطَ لنا لكي نداهن غير المسلمين ونسترضيهم بالتخلي عن شريعة الله..! بل لإقامة دين الله وإعلاء كلمته وينعم الخلق جميعا، مسلمُهم ومشركُهم تحت ظل راية الله وعلو كلمته.

- التاريخ الإسلامي منذ بعثة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الى يوم (3/ 3 عام 1924) ـ يوم إعلان إسقاط الخلافة ـ لم يكن للمسلمين شريعة ولا قانون إلا شريعة الله، ولا شرعية لقانون إلا إذا استُمد من دين الله. لكن الجهال الذين نشأوا بعد ذلك جهلوا طبيعة شريعة الله والحياة الإسلامية؛ فصاروا يستغربون أن تكون شريعة الله حاكمة؛ بل يستنكرون ذلك!! بينما هو أصل دينهم ومقتضى إيمانهم والمعنى المباشر لإسلامهم!!..

- الزعم بالحرية الشخصية كلام باطل؛ فالحرية تنتهي عن حدود الله.

- كما أنه لا يُسمح في دين الله أن يتلاعب إنسان ما، تافه أو تافهة، نزِق أو نزقة، فاجر أو فاجرة، مستهتر أو مستهترة؛ سواءً كان فردا، أو أسرة لها ميول انحلالية؛ لا يسمح المجتمع المسلم لأمثال هؤلاء أن يدمروا قيم المجتمع المسلم، ولا يؤْذَن لهم بذلك؛ بل الإسلام حاسم في التعامل مع هذه العوارض المفسدة للحياة والمجتمع والقلوب ولآخرة الناس. ومن لم يدرك هذه المعاني اشتهبت عليه الأمور كثيرا.

* * *

يناقض شريعة الله تعالى اليوم فتنةٌ عامة وكبيرة، ملأت الدنيا وهيمنت على حياة المسلمين لضعفهم وتخلفهم؛ وهي فتنة "العلمانية"؛ احتجاجا بالتفوق البشري والعلوم الحديثة؛ فتمرد الناس على ربهم كما قال تعالى (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى) فلما رأى نفسه استغنى عن ربه، بمال أو علم، أو قوة؛ تمرد على الله ورفض عبوديته.. نزلت الآية في "أبي جهل" وهي تتحدث عنه وعن "نوع" هذا الطغيان العلمي أو المادي أو بسبب القوة، أو الحداثة أو غيرها..

وما من جاهلية إلا واستنكرت دين الله تعالى ورسالة رسولها، محتجة عليه بأن ما يقوله هو من "أساطير الأولين" التي طواها الزمن، وكان يرددها أجدادٌ قدامى.. "يقصدون بذلك أتْباع الرسل مِن قبلهم.." في كل حالة انحراف مجتمعي يتوهم الناس "الحداثة" في واقعهم و"التخلف" فيمن مضى. والإسلام يرفض هذا المقياس؛ فإنما يعاب ما كان عليه الأولون إذا كان ضلالا، يقلده المعاصرون .

وأما لو كان الأولون على هدى، الرسل وأتْباع الرسل؛ فإنه تعالى يأمرهم أن يتبعوا سنن الأولين.

ففي حالة ضلال الأولين قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ).. في كثير من الآيات تعيب عليهم تقليد واتباع الآباء وهُم في حالة ضلال.

وفي حالة هُدى السابقين قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ)، وقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ) ومقصود به الأنبياء السابقين وسننهم وأتْباعهم الصالحين.

* * *

القيم والأخلاق لا تدخلها الحداثة ولا توزن بالتطور الزمني، بل توزن بميزان آخر تماما، وهو الصعود أو الهبوط؛ فالأمين هو الأمين لبس جلود الحيوان أو جاكيت ورابطة عنق.. والخائن هو الخائن لبس هذا أو ذاك. والعفيف هو العفيف ركب فرسا أو طائرة، والفاجر هو الفاجر على هذا أو ذاك.. والشريفة هي الشريفة في بدو وصحراء أو في ناطحة سحاب، صعدت سلالم أو ركبت مصاعد، والساقطة هي الساقطة كانت هنا أو هناك..

الأخلاق لا تتطور، والقيم كذلك؛ بل تصعد أو تهبط؛ لأنها متعلقة بـ "إنسانية الإنسان" لا بأداوته.

ومن هنا فالشريعة لازمة للخلق الى يوم القيامة، ومِن منة الله علينا أن يهدينا سنن الذين من قبلنا من طريق محمد وأصحاب محمد، والرسل من قبلهم. صلى الله على محمد، وسلام الله عليه وعلى المرسلين.

ومن ترك الرسل واتّباعهم؛ اتّبع اليوم ملاحدة وشواذا وساقطي الخلق؛ فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون.

* * *

العلمانية هي رفض شريعة الله كقوانين وكثقافة وتربية.

ولهذا فهي تعني:

-التشريع من دون الله.

-وتعني تبديل القيم والأخلاق في التربية والثقافة والإعلام والتعليم.

وهي مناقِضة لعبودية الله وتوحيده؛ فهي رفض العبودية لله ورفض الخضوع لشريعته، ورفض الاستسلام لله وقبول أحكامه.

وهي شرك أعظم؛ فالشرك كما يتحقق بالسجود لغير الله؛ فهو يتحقق بقبول شرع غيره ورد شريعته؛ فهو شرك في التشريع.. قال تعالى عن مراودة المشركين وجدالهم للمسلمين في حكم تحريم الميتة، وجدالهم من أجل تحليلها؛ قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ).

وقال (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) فذكر هنا نوعَي الشرك، وهما:

-شرك بالأحبار والرهبان في التشريع.

-وشرك بالمسيح ـ عليه السلام ـ بالتعبد له، على أنه الإله المتجسد أو ابنه.. بحسب اعتقاداتهم الشركية.

أما المسلم فمبدؤه (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ).

وعنوانه ومَبدؤه (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

وبالتالي فهو يعبد الله وحده، ويتلقى منه الشرائع القانونية وحده، ولا شرعية عنده لقانون أو خُلق أو قيمة إلا إذا استندت الى سلطان وحجة من الله، برجوعها الى ما أنزل، سبحانه؛ وإلا أعلن أنه: (إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ). "إن عندكم" يعني "ما عندكم."

فالقانون عند المسلم يجب أن يكون تعبيرا عن إرادة الله فيما ضمَّنه شرعه، وساعتها يكون مبرر الالتزام موجودا وموفورا فيلتزمه ضميره وواقعه؛ وعندها لن تجد التفلت من القوانين والتحايل عليها سمة عامة وسبيلا أصيلا للناس!..

وساعتها لن يعاني المسلم من حالة الاغتراب التي يعيشها، ولا حالة الانفصال بين دينه وواقعه، ولا بين معتقده وبين الثقافة والإعلام المفروض عليه، ولا بين عقيدته وبين أجياله الناشئة المتشربة لثقافات أخرى، ولا بين انتمائه وأمته وبين الانبطاح المخجل والانبهار المريض..! ولا بين تاريخه الذي يفخر به وبين واقعه المهزأ !..

* * *

والعلمانية ردٌّ للشريعة ورفضٌ لسلطان الله تعالى على الحياة، قانونا وثقافة..

والقسمة العلمانية هي أن لله شأن السماء ولهم الأرض. لله الآخرة ولهم الأولى. لله الخلق ولهم الأمر.

وهي قسمةٌ تمرد على رب العالمين، ورفضا لمبدأ الدين، فهي تحدد لله تعالى!! المساحة التي يسمحون لسلطانه ولدينه بالوجود فيها..

وهذا لا يكون معه ذرة من إيمان. وسواءً أقروا بوجوده أو جحدوه؛ فإن جحدوا وجود الله فهم ملاحدة صرحاء. وإن أقروا بوجوده ومعرفته فهو نوع من الإلحاد. كما أنه لا تزيد معرفتهم به عندئذ عن معرفة إبليس، فهو يعرف بوجود الله ويقسم به ويستكبر عليه؛ فهي معرفة لا تنفع أصحابها؛ بل هي حجة عليهم.

* * *

وحقيقة العلمانية هي الإلحاد..

والإلحاد درجات؛ فإنكار وجود الله إلحاد، وقصْر سلطان أمره وشريعته على جزء من الحياة إلحاد، واتهام شريعته بالتخلف والوحشية إلحاد شديد، ومناقضة شريعته وردها بأنها تناقض العلم أو العدل أو الحكمة أو الرحمة إلحاد. وتعدٍ وسَفَه.

كمِثْل من رآها لا تصلح للحكم اليوم بسبب تطوُّر الزمان؛ رجع هذا الى اتهام الله تعالى في علمه بالغيب وما يطرأ على حياة البشرية..

وكِمثْل من طعَن في حقوق الذكور والإناث في الميراث؛ رجع هذا الى اتهام الله في حكمته وعدله..

وكمثل من طعن في حجاب المرأة أو قوامة الرجل أو تحريم الربا؛ رجع هذا الى الطعن في حكمة الله تعالى..

وكمثل من طعن في أهمية الحدود والعقوبات الشرعية، وما فيها من استيفاء حقوق الأطراف التي جُني عليها، وما فيها من زجر وحفْظ للمجتمعات وللبشرية وحياتها وأمنها ومالها ونسلها.. عاد هذا الى الطعن في رحمة الله تعالى؛ بل وزعم هذا الزاعم أنه ارحم بالعباد من خالقهم..! ثم إذا نظرت اليه وجدته رقيعا مفسدا ماجنا، ووجدته متوحشا قاتلا وحاضا على القتل والحرق والفساد..!!

هذه مجرد أمثلة..

لا يبقى إيمان، ولا ذرة منه، ولا يشمُّ صاحبه منه رائحةً إذا كان يتهم شريعة الله بأنها تناقض الرحمة، أو العدل أو العلم أو الحكمة؛ فهي تهمة لربه تعالى وسُبة له، وهو شأن المشركين على مدار التاريخ البشري؛ أن يتضمن أو يستلزم شركُهم تنقيصا ومسبة؛ ولهذا أمرنا الله تعالى بعد نفي الشرك بتسبيحه ـ سبحانه ـ أو البدء بالتسبيح ثم نفي الشرك؛ كما أمر الله نبيه ـ وأمرنا من بعده ـ أن نقول: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

والمؤمن على يقين واطمئنان في منهج ربه وشرائعه، وهو في اطمئنان الى علم الله وحكمة الله ورحمة الله وعدل الله..

وإنا على قطع بحقيقةِ: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وعلى يقين وقطع بـ (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) وبأنه (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، وأننا فقراء لتشريعه سبحانه ولما فيه من الخير (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)..

كما أننا على يقين بعقوبة المخالفة في الدنيا والآخرة، اليوم بأقداره وغدا بحسابه وجزائه..

* * *

كل ما يتهم به الملاحدة والعلمانيون شريعة رب العالمين بالباطل يقعون هم في أضعافه..

فهم يتهمون أحكامه بما ينافي "الرحمة" فيُطلقون للزناة تدمير المجتمع والأجيال ويتسببون في جرائم القتل ونفي الأولاد حتى يموتوا، ورميهم في القمامة، أو يطالبون المجتمع بقبول الفواحش فيدمرون الجنس البشري حيث لا يحتاج الناس الى الزواج والرعاية والنسل..!

ويستنكرون حد الخمر فيقتل السكارى الخلق ويدمرون الحياة..

ويعطون للمرأة حق القوامة فيحرمونها من الرعاية ويدمرون الرجال ويقلبون فطرة الناس وحياتهم ويئدون الفطرة في النفوس..

وكل ما استنكروه أو عابوه من دين الله تعالى إذ بهم يحمون به المفاسد التي منعها الله، ويرعون به الشر الذي منعه الله بحدوده؛ وإذ بهم يدمرون الإنسان، وفطرته، ويبيحون دمه وماله، ويُهدرون عقله، ويدمرون نسله وأجياله القادمة.. وقبل كل شيء يفسدون دينه وآخرته، وإنما الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؛ إنهم عدوك فاحذرهم.

❋ ❋ ❋

وشعار الملاحدة والعلمانيين هو شعار إبليس "أنا خير منه" لكن إبليس قال هذا في شأن آدم، وأما الملاحدة فيقولونها لأنفسهم أمام ربهم..! فيجعلون أنفسهم أعلم من الله، وأحكم من الله، وأرحم من الله، وأعدل من الله.. سبحان الله عما يصفون، وتعالى عما يشركون.

وكلها ادعاءات فارغة وكاذبة. وتبقى الفطرة تحتاج الى ربها وتبحث عنه.

والناس في حاجة الى ربهم، الى معرفته وعبادته وطاعته.

ولو كان للبشرية أن تستقل برأيها وعقلها لما شرع الله لها الشرائع ولما ألزمنا بأحكامه؛ ولما اضطربت أحوال الناس في فترات انقطاع الرسالات..

وقد سمى الله تعالى دين وشريعته نورا (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) ومقابل شريعة الله هو الظلام.

وقد جعل تعالى شريعته طريقا قويما وصراطا مستقيما (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما) (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم يمشي سويا على صراط مستقيم) ومقابل شريعة الله عوجُ الحياة والمجتمعات واضطراب حياة الناس.

في دين الله العفة والاستقامة، والعدل والنظافة، والقوة والكرامة، والعزة والريادة..

اقرأ وتدبر: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)..

❋ ❋ ❋

والرافضون لشريعة الله، الزاعمون للحرية، يقولون بالحرية في اتجاه واحد هو الإلحاد والهبوط والإباحية والخروج عن أحكام الله؛ فإذا اختارت الشعوب دين الله قالوا بضرورة قهرها وذبحها وسفك دمائها حتى

تقبل العلمانية وتستقر فيها..! فهم يؤيدون سجن المسلمين وتعذيبهم والافتراء عليهم من أجل تقرير إلحادهم وحمل الشعوب على قبول الإلحاد واستقراره.

فهم إرهابيون دعاة قتل وسفك دم وقهر لشرفاء الأمة وإرادتها.

* * *

العلمانيون هم أدوات الغرب لتغيير منهاج الأمة، وشريعتها وهويتها. فهم منافقوا هذا الزمان. وقد حذر الله من المنافقين الباقين على الانتساب للإسلام وهم يبغضونه ويحاربونه أو يكذبونه؛ فقال (هُمُ العَدُوّ فاحذرْهم) يعني هم الكاملون في العداء لله ولكم، ويجب الحذر منهم..

فمن وثق فيهم فقد خالف كتاب ربه، ومن ائتمنهم على الأمة ومقدراتها، وثرواتها، وأجيالها، وهويتها؛ فقد خان المسلمين، وخان الله من قبل.

هم حَمَلة مشاريع الأمم المهيمِنة التي تفرض التبعية على المسلمين، وهم أدواتهم ومندوبوهم.

فالثقة فيهم جريمة، وائتمانهم خيانة.

* * *

تعطيل أحكام الله عن حكم الحياة والمجتمعات، ورفض منهج الله، مقدِمة يتْبعها التحرج مما أنزل الله؛ الشعور بالحرج، والإحراج من أحكام الله، والخجل من تقريرها!..

ثم يتبعها الاعتذار عن أحكام الله، وتبريرها تبريرات باردة، وأنها كنت لزمن وسياق!..

ثم التبرؤ منها، والافتخار أن المسلمين تركوا هذه الأحكام وأصبحوا ينتهجون الحداثة وأن هذه الشريعة جزء من الماضي، ولا يتمسك بها سوى بعض قطاعات ضئيلة من المجتمع، وأن الأنظمة الحديثة تعمل على توعيتهم وإخراجهم منها، أو ضربهم وسحقهم..! فيطمئن عندئذ نصارى الغرب وصهاينته وشواذه وإباحيوه وملاحدته.. ثم يتفاخرون هم بأديانهم وكنائسهم وتاريخهم الدموي، وواقعهم الدموي والرأسمالي المتوحش!..

ثم يتبع ذلك محاولات محو آيات من القرآن وإصدار نسخ ليس فيها ما يرفضه الغرب أو يضع عليه العلمانيون وسفهاء المثلين "كومنتات" ـ تعليقات!! وقد أصدرت أمريكا عقب غزوها للعراق نسخا محرفة من القرآن

حذفوا ما شاؤو ووضعوا ما شاؤوا.. ولولا حفظ الله لكتابه لكان للأمر أثرٌ.. ولكن حفظه الله حتى يأتي قوم يعتزون به ويؤمنون به فيقيمونه وينشرون للبشرية نوره وهداه.

* * *

يرفض العلمانيون شريعة الله ومنهجه؛ وبالتالي يرفضون هوية الإسلام، ويصرخون منها كأنهم لدغتهم أفعي.. ولهذا يقررون الهوية القومية المعادية للدين، أو المصطلحة معه لكن لا يكون الإسلام هوية وشريعة.. ثم يأمرهم أسيادهم بما بعد "القومية"، فيقررون الهوية "الوطنية" القُطْرية ويرفضون الإسلام. يجعلون شريعة الإسلام تخلفا وإرهابا، ويجعلون هوية الإسلام خطرا على الوطن..! ثم تضيع من أيديهم القومية، ثم يسقط الوطن ولا يبالون؛ فالمهم عندهم تحقيق مشروعهم، ومشروعُهم الوحيد هو هدم الإسلام ثم لا شيء بعد ذلك.. بينما تقرير (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) تعني شريعة الله، وهوية الإسلام.. هوية الإسلام التي عاش في ظلها المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي؛ يجدون فيه السلام والأمن ما داموا محترِمين لظل شريعة الله وهوية الأمة. لقد كانوا يجدون فيه ظله العدل، ويرون منهج الله يتفيأون ظلاله ويتنعمون بنعمته؛ ثم حسابهم على الله.. لكن العلمانيين اليوم يطلبون تنازل المسلمين عن إسلامهم الذي لا يتحقق بغير الشريعة والهوية؛ محاباة لغير المسلمين؛ فتذوب الأمة ويتلاشى أثر الرسالة، وتبقى أمم الأرض كلٌ منها محافظا على شرائعه وقوانينه وهويته؛ إلا أمة الإسلام حيث يأبى منافقوها عليها دينها. اقرأ وتدبر ورتل قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).. واقرأ وتدبر قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)..

يسعى المجرمون لحرماننا من هاتين الحقيقتين الكبيرتين؛ حقيقة الشريعة الخيِّرة، وحقيقة هوية الأمة الخيّرة. يسعى المسلمون لإخراج الأمة اليوم الإخراج الثاني وإحيائها؛ ويسعى المنافقون الى طمس وجودها ومعالمها؛ لكن كلمة الله أعلى، وقدَره نافذ، ونوره لا ينطفئ.

* * *

..انتهت ..